الجمعة 25/ذو الحجة/ 1436هـ
الموافق 9/أكتوبر/2015م السنة 85 العدد 21366

صوت الحجاز ١٣٥٠ – ١٣٦٠
البلاد السعودية ١٣٦٥/٢ – ١٣٧٨/٧
البلاد ١٣٧٨/٧
البلاد ١٣٨٣
البلاد ALBILAD ١٤٣٤

صفحة مشرقة من الماضي والحاضر..

بقلم: فؤاد شاكر

اما الحاضر فقد تجلى في مظهر ذلك الاحتفال الفخم الوقور، الذي اقامه الشيخ عثمان باعثمان ليلة الجمعة الماضية، حفاوة بوصول الدفعة الجديدة من ماء عين العزيزية، الى جدة، عبر الكيلو الرابع عشر في مركز خزانات العين بطريق مكة ـ جدة والذي جرى يمن افتتاحه بيمين الفيصل العظيم، حين قص الشريط الدافع للماء، متدفقا هدارا، سائغا مدرارا حيث نعم الناس بوفرته وغدقه وتدفقه.

هذه الصفحة الجديدة المشرقة في تاريخنا الحاضر، شهدها المواطنون ليلة الجمعة وهي لا تزال ماثلة في اذهانهم وستظل ماثلة في اذهانهم وابصارهم ابد الدهر الحياة.

اما الصفحة الماضية المشرقة، فقد اتاح لي التحدث عنها، مذيع الحفلة ومذيع الاذاعة الاستاذ محمد الشعلان حين قدمني في ذلك المهرجان، بوصفي احد الذين حضروا حفلة افتتاح ماء عين العزيزية، في يومه الاول من عام ١٣٦٧ هجرية، في ذلك المهرجان الضخم الفخم، الذي اقيم بجدة يومذاك، ابتهاجا بوصول الماء، الى مدينة جدة، وحين تهفضل المذيع الكبير فذكر بيتا من الشعر هو مطلع قصيدتي التي القيتها في ذلك اليوم الاغر السعيد.. فقال:

اقبلت بالحياة أم الحياة
فاسقنيها على جبين الغداة

لقد رجعت بي الذاكرة الى ذلك اليوم البهيج الذي اقيم فيه الاحتفال بوصول ماء عين العزيزية الى جدة، وكان يوما اشبه بايام الاعياد لما فيه من البهجة والحبور بذلك الحدث التاريخي الهام، الذي كان فاصلا في حياة جدة واهلها، بل فاصلا في التاريخ بين ماضي قديم أليم، ماض مظلم قاس، وبين امل مرتقب في حاضر وفي مستقبل تعلقت به الاهداب والقلوب والابصار، في تطلع وبريق وامل، حتى لقد كان الناس يتبادلون التهنئة مغمورين بنشوة شاملة من الفرح، وهم ينظرون الى المستقبل نظرة التمني والخيال، بحيث لم يرتفع مستوى احلامهم واخيلتهم الى غير الري والسقيا ولا شيء غير ذلك.

واقيم الاحتفال، وسمعنا نبضات القلوب تهمس بالنجوى وهي تستمع الى اقوال الشعراء الذين نجحوا غاية النجاح في ذلك اليوم الاغر في تصوير خلجات النفوس، وحركات الضمائر ازاء ذلك الحدث الحادث، وكانت النظرات الباسمة، والثغور المغرة تحمل وحدها ابلغ المعاني التعبير في مظهره اللامع الكريم.

انني اذكر الفقيد الكريم الشيخ فؤاد الخطيب الوزير السعودي المفوض في افغانستان اذكره وهو يهمس في اذني بابيسات رقيقة كريمة من شعره العذب الرصين، في موضوع ذلك الماءس. ويقول:

سل الدار والاجيال هل طلع الفجر
على مثل هذا اليوم، او حدث الذكر
فقد سجل التاريخ للجود اية
تنافس في تخليدها الشعر والنثر!
فهنئت يا عبدالعزيز فانها
يد لك عند الله في بذلها الاجر
بللت غليل الناس بعد شوق
الى الماء، لا حزن سقاهم ولا فقر
وكم دولة مرت بهم بعد دولة
فكان سواء عامر الربع، والفقر
وتلك الانابيب الموائل حجة
والسنة ممتدة، كلها شكر
ويوم غد في كل نبت وزهرة
سنبني على الآنك النبت والزهر
وقد قال ذاك الماء للبحر مؤمنا
اليك اجل يا بحر، ايكما البحر
لقد كنت نزر الورد للناس حقبة
فقد هطلت من كفه الديم الغزر
فان جحد الايام فضلك صيبا
فكم جحد النعماء للمنعم الكفر
وجدة ثغر بالحجاز ولم يكن
يبسم الا بعد نائلك الثغر
وكذلك استمع الناس يومذاك الى باقة عطرة من الشعر بلسان شعراء المملكة ومصابيح البيان فيها، وكان المجلي فيها استاذنا الصديق الجليل الشيخ احمد بن ابراهيم الغزاوي حيث ارقص النفوس والقلوب بهزيجه ونشيده. فكانت له قصيدة عصماء غراء، قال في مطلعها:

رؤيا بها العين تصحو بعد اغفاء
ام انها العين راي العين للرائي
أم انه النهر يجري من منابعه
سبائكا، من لجين ذاب في الماء
أجده هذه؟ أم دجلة نثرت
بها الحياة، ودبت بعد اقواء
مدينة شاب فيها الدهر واكتهلت
بها القرون وعانت اي ضراء
يشكو الصدى في ثراها اليوم مضطربا
وحولها كوثرا، اخياف، حداء
ويسقط الطير عن اجوائها عنتا
بما يلاقيه من قيظ، واصلاء
تدفقت من يدي عبدالعزيز جدي
اعيا به الشعب من دان ومن نائي
ومن بني امة كانت محطمة
فكيف لا يسعف الظمأن بالماء
وكم صروح بكم في المجد شامخة
وكم لكم من اياد جد بيضاء
وكم بكم عظمت ما بيننا نعم
تثرى متابعة من غير ابطاء
ويسترسل الشعراء في هذه المناسبة الكريمة السعيدة، وقد جادت قريحة الصديق الكريم بابيات قال فيها:

تهاو على اسم الله يا ماءنا غمرا
وسبح بحمد الله يا ماءنا شكرا
وسر بامانينا تحفك سبقا
اليك خيالا، لا يكل ولا يعرى
امنان كاحلام الربيع تفتحت
على امل او هي التجلد والصبرا
امان عذاب طائرات كأنها
حمائم تهديك السبيل لنا سرا
وقف لجلال الملك في الدهر ساعة
من الدهر لم يبخل عليك بها ذكرا
اضاء بها عبدالعزيز وحسبه
مسمى تضيء المكرمات، به قدرا
رعاك طلابا واجتباك حقيقة
واجراك فيضا من مفاخره تثرى

والقصيدة التي اشار اليها المذيع الاستاذ محمد صبيحي، والتي القيتها في ذلك الاحتفال العربي الاسلامي، وكانت تلقى باسم الوفود الاسلامية الحاضرة منها:

اقبلت بالحياة ام الحياة
فاسقيتها جبين الغداة
قبل ذوب اللجين، قلت رويدا
اين منه تدفق النيرات
قبل تبر جرى، فقلت واين التبر
من لؤلؤ كريم السمات
قبل ده. وقبل مسجد دنيا
جمع العقد شمله من شتات
قلت مهلا فكل وصف ضئيل
تتهاوى به دعاوي الرواة
هو ماء جرى وحسبك منه
انه للحياة، ماء الحياة
فجرته باليمن في خير عهد
كف عبدالعزيز.. خير السقاة
هبة من يمينه، وسخاء
بز ما في زمانه من هبات
قد جرت في مجاهل الارض منه
ثروات تختال في ثروات
محت الجذب من ثرى كل جدب
وازاحت بالخصب، منه الموات
فاذا اليوم نعمة الله تثرى
في زمان راعية، خير الرعاة

وتمضي القصيدة في امثال هذه المعاني التي اقتضتها المناسبة بما هو جدير بها من حفاوة رائعة واستقبال كريم.

كان ذلك في عام ١٣٦٧ هجرية الموافق عام ١٩٤٨ ميلادية واليوم وبعد مرور هذه الحقبة الطويلة من الزمن، تواصل العين العزيزية جهادها ونضالها في استنباط الماء وارساله الى جدة، في عزيمة وثبات واصرار، وحتى وصل الامر الى ما وصل اليه من ضخامة الارقام التي بلغت ملايين الجالونات متدفقة من مجاهل الصحراء، وصميم البيداء الى مدينة جدة، كما ذكر ذلك في خطاب السيد عثمان باعثمان الذي القى في حفل عين العزيزية ليلة الجمعة الماضي، فالتحية الناضرة الوارفة، الى هذه العين، من رجالها العاملين والمجهولين، والذين كان لهم الفضل الاكبر في ادارتها والسهر عليها حتى سايرت الزمن وحتى وصلت الى ما وصلت اليه من نجاح وازدهار وتقدم، ولا عجب في نجاح هذه العين التي يرعاها وليها وناظرها الفيصل العظيم، وهي كما يقول سمو الامير فيصل المعظم، الادارة الوحيدة التي لم تتلق اية مساعدة من الحكومة، وىالتي هي قائمة على اكتفائها الذاتي، بالاضافة الى ما تنهض به من المشاريع الجليلية المسجلة لبلادنا، وفي مقدمتها مدن الحجاج القادمين من البحر والجو، ومكاتب شركات الطيران التي اقامتها ملحقة بمبنى مطار جدة، وما الى ذلك، تحية لأولئك العاملين جميعا تحت رعاية الفيصل العظيم، ايده الله وابقاه.

صور من التاريخ

سور– جدة القديمة – جهة البحر

السقا يمر على المنازل لتزويدها بمياه الشرب

هذه المواد نشرت بتاريخ 15- 2- 1384هـ الخميس 19-8- 1964م

هو .. والمؤسسات الصحفية

بقلم – محمود عارف

في باب حديث من القلب وتحت عنوان "هم وآراؤهم" رد الاستاذ عزيز ضياء بالجملة على آراء ثلاثة من الذين مارسوا حقهم في الاجابة عن السؤال الموجه لهم في باب " تحت عمود النور" فكان اثنان منهم متفقين في ان صحافة اليوم تعالج قضايانا بأسلوب "المجاملة" ـ ما عدا الدكتور المناع الذي اختلف رأيه عن غيره حيث قال بأن صحافة اليوم لم تعالج شيئا لا بالنقد ولا بالمجاملة بل ـ بالابتسام- في صورة ومن يحتفظ بالماء في فمه .. والاستاذ عزيز ضياء اديب مخضرم، ورأيه في جريدة البلاد عن صحافة المؤسسات لا يخلو ان يكون دفاعا عن شيء ولا شيء غير الفداء، وانا اعرف معنى الفداء عند المخضرمين الذين عاصروا عهد الصحافة فيما قبل المؤسسات. ولكني اصبحت اشك فيمن جاء في عهد المؤسسات يستنكر المثل والمبادئ.. ويحول الطاقات المعطاءة الى مجهود في صورة دفاع فيه معنى الفداء او على الاقل رائحة التضحية . اذا قال الناس بأن صحافة اليوم تعالج قضايانا "بالمجاملة" فهل يعني هذا ان المقصود بهذا القول زيد أو عمرو والكلام عن صحافة اليوم في عمومه هو من باب الكليات التي لا تعنى الجزئيات. وموضوع الدفاع عن المؤسسات يبدأ عند الاستاذ عزيز من الجزء الذي جلس فيه على كرسي الاعتراف والتسليم دون ان تكون هناك تهمة موجهة اليه، فهو في مقاله يعترف بأنه طيلة ثلاثة اشهر من عمر المؤسسات عالج عدة مشاكل كان فيها قلمه بعيدا عن الدخول في مغامرات حماسية مماجعل لكتابته طابعا جديدا لا هو بالجافي ولا بالمتهور ولا النابي. لان التحمس عنده اصبح غير ذي موضوع بالنسبة لتجاربه التي مرت عليه بحكم امكانيات السن، واذا شاء ان يكون حماسيا او هادئا هنا او هناك فليس لدينا ما يلزمنا بان نخصه ـ باللوم ـ لانه استعمل ـ المجاملة ـ في كتابته كحق من حقوقه. ونحن لا نسمي الاشياء بغير اسمائها اذا اردنا ان نحدد معنى "المجاملة" داخل حدود لم تتجاوز الفاظ النقد او التراجع وقد ذكرت تفسير المدلول المجاملة باسلوبي الخاص. كما اشار إلى ذلك الزميلان احمد السباعي والدكتور المناع باسلوبهما المعروف . ولكن الرد من الاستاذ عزيز ضياء جاء الينا بالجملة بما مؤداه: انه نسى او تناسى ماضيه في الحماس الذي كان يملأ قلمه وقلبه ووجدانه من اجل الدفاع عن الحق، ومن اجل قول الصراحة ومن اجل انتهاج سبيل الصدق وانه اخيرا فضل تعلمه اختيار سبيل الوقار. وكان يريد ان يسكت عنه حتى يظهر على واقعه بفعل او شهادة الغير حين يريد لنفسه ان يعيش في فردوس الهدوء، وما نعتقده ونحتفظ له به هو انه اديب وكاتب وصحفي وقصاص، ولكن رياح المؤسسات ذهبت بالشيء الكثير من العطاء الذي اخذ به كأسلوب من اساليب الدفاع عن صحافة المؤسسات. وعندي ان العطاء بالقلم في مثل هذه المناسبة اسلوب من التطويح والاقلام المعطاءة في عهد المؤسسات تستطيع ان تكيف "الظروف والملابسات" ولكنها لا تستطيع ان تمحو الحقائق التي سبقت تجارب "المخضرمين". وبالمناسبة احب ان اقول للاستاذ عزيز ضيا بان طلبه من الاستاذين السباعي والمناع بوصفهما عضوين في مؤسستين ان يعملا في مجالهما على صنع انطلاقة جديدة.. هو طلب كان ينبغي ان يوجه الى المؤسسات ـ كمجموعة ـ لان الانطلاقة الجبارة كنا ننتظرها من الحشود التي تكدست في هذه المؤسسات بقصد ابراز صحافة قوية، وهي حشود جمعت بين كفايات راس المال، وتجارب الادباء الاكفاء، وخيرة الصحافة السابقة.